المرأة المسلمة

للاستاذ علي الطنطاوي

أنا أغتاظ وأتألم كلما سمعت الناس يضربون الأمثال بنساء اليهود : بقتالهن في الحروب وعملهن في المعامل والحقول ، لأني أجد في ذلك جهالة بتاريخنا ، وبسلائقنا ، وبما كانت عليه المرأة منا

إنكم تحسبون أن نساء العرب كن — مذ كن — كأكثر من ترى من النساء ، جاهلات خاملات ، يثرن المشكلات ، وينغصن عيش الرجال ، أو مترفات مدللات همهن صبغ الوجوه ، وتلوين الأظفار ، وإنفاق الأموال ، فتعالوا أخبركم كيف كانت المرأة على عهد الرسول ، صلوات الله عليه ، كيف عملت في بناء هذا الصرح العظيم ، وشاركت في إقامة الدولة الإسلامية ، وكيف سعى نساء من النساء في كل مجال كان يسعى فيه الرجال ، في مجال الدين والتقوى ، ومجال العلم والأدب ، ومجال المعارك والحروب

وكيف كان منهن (المرأة العاقلة) الحكيمة كخديجة التي وضعت ثاني حجر في صرح الدعوة ، وكانت ركنا قويا للاسلام في فجر الإسلام ، والتي أخذت بيد النبي صلى الله عليه وأيدته بمالها الكثير ، وقلبها الكبير

و (المرأة العالمة) العلمة كعائشة التي كانت أستاذة عصرها ، وكان فحول العلماء تلاميذ لها ، وكانت أعجوبة في سعة روايتها ، وحدة تفكيرها ، وبلاغة لسانها ، وقوة جنانها ، حتى دفع بها نشاطها إلى ما ليس من شأنها ، فاقتحمت ميدان السياسة وما خلقت له وما خلق لها ، لا باللسان والرأى بل بالنار والحديد ، فكان من ذلك ما كان

و (المرأة الأديبة) التي خدمت بالدعاية اللسانية ، وبالشعر يوم كان الشعر هو الصحافة وهو الإذاعة وهو سبيل الدعاية (١) لا سبيل غيرها ، كصفية ، ونعم بنت سعيد ، وهند بنت أثاثة لما انتهت معركة أحد على غير ما يبغى المسلمون ، بمخالفة من خالف منهم عهد الرسول ، وقامت هند بنت عتبة على صخرة تقول

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

انبرت لها بنت أثاثة ترد عليها . تقول لها :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ملهاشميين الطوال الزهر

و (العاملة في المصالح العامة) كأسماء بنت الصديق ، يوم الهجرة ، حين كانت تحرس منافذ الأخبار إلى قريش ، وتحمل الطعام إلى المهاجرين العظيمين وتصبر على عدوان قريش عليها ، ولطم الخاسر أبي جهل خديها لتخبره أين رسول الله ، فلا تخبره ، وحين قدت نطاقها ، فربطت بشقه السفرة وانتطقت بالآخر ، فدعيت من ذلك بذات النطاقين

وأنتم تعرفون موقفها العظيم ، المظلم ، يوم قتل ابنها أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، ذلك الموقف الذى لم يكد يروى التاريخ موقفا مثله لأخرى من بنات حواء

و (المرأة في الدفاع السلبي) بل الدفاع الحربي ، كما صنعت صفية لما كانت في الحصن مع النساء وكان الصبيان والرجال في الجبهة ، فرأت يهوديا يطيف بالحصن فخافته على النساء والصبيان أن يؤذيهم أو يدل العدو عليهم ، فشدت وسطها ونزلت إليه بالعمود ، فضربته حتى قتلته

كان نساؤنا يقتلن أبطالا . . فيهود ، فصار نساء اليهود ، بفضل سادتنا وأمرائنا ... يقتلن رجالنا !

* * *

وكان منهن (الممرضة المواسية) كرفيدة التي جعلت من خيمتها مستشفى سياراً ، تداوى فيه الجرحى ، وتحبس نفسها على خدمتهم ، والترفيه عنهم ، ترفيه الحق لا ترفيه الفسوق والفجور ... ولما أصاب البطل الخالد سعد بن معاذ السهم يوم الخندق قال رسول الله : اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب

وكان النساء يخرجن مع الرسول ، وشهد خيبر منهن جماعة أعطاهن من الفيء ، لا يخرجن للجهاد بأعراضهن وفتنة المجاهدين بجمالهن ، بل للعمل في (الوحدات الصحية) والحراسة والتحميس

(١) الدعاية صحيحة وإن كره المتحذلقون أصاب (الدعاوة) !

والاشتراك فى القتال إن دعت الضرورة إلى القتال

والقائمات بمثل أعمال (الكمندس) فى هذه الحرب ...

أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله صلى الله عليه فى (الغابة) فاستاقها ، وكان فيها رجل من بنى غفار وامرأته فقتلوا الرجل ، وسبوا المرأة ، فلم تجزع ولم تفزع ، ولم تبك ولم تولول ، بل قاومتهم مقاومة اللبؤة (١) حتى أفلتت منهم على ناقة من إبل الرسول فوردت بها عليه ، فقالت : يا رسول الله ، إنى نذرت أن أنحرها إن نجانى الله عليها ، فتبسم رسول الله وقال : (ليعلم المسلمين) : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ، ونجاك بها ، إنه لا نذر فى معصية الله ، ولا فيما لا تملكين

* * *

ومنهن (المرأة الصابرة) على ما يعجز عنه الصبر ، ويضيق عن احتماله الصدر. لقد أصيبت حمنة بنت جحش يوم أحد بأخيها عبد الله ، وخالها حمزة سيد الشهداء ، وزوجها مصعب رائد الإسلام ، فثبتت كيلا يرى وهنها المشركون ، وفى قلبها مثل حز المواسى .

وهذه امرأة من بنى دينار ، قتل زوجها وأخوها وأبوها فى الوقعة ، فلما خبرت بهم ، بلغ بها عظم الإيمان أن سألت : ما حال رسول الله ؟ فلما قالوا لها : هو حى ، قالت : كل مصيبة بعده هينة

ومنهن (المرأة المقاتلة) التى تأتى بالبطولات

هذه أم عمارة — نسيبة المازنية — خرجت لترى ما يصنع الناس ، ومعها سقاء ماء لتسقى العطاش من الجند ، وكانت الدولة والصولة للمسلمين أول النهار ، فلما انهزم المسلمون ، وداخلتهم الدهشة لما كان من هبوط الرماة عن أحد ، وكرة فرسان المشركين ، كانت هذه المرأة أثبت من الرجال قلباً ، وأجرأ بدأ ، فلم تهزم ولم يجرفها التيار ، بل أخذت سيفاً من ساحة المعركة ، وجعلت تدافع مع الرسول ، حتى أثخنتها جراحها

قالت أم سعد راوية الخبر : وكشفت لى (أى أم عمارة) عن عاتقها بعد سنين طويلة ، وإذا جرح غائر أجوف ، قلت : من أصابك بهذا يا خالة ؟ قالت : ابن قمئة أقماه الله . لما ولى الناس ، أقبل يقول : دلونى على محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضت له

يا أيها القراء ، أرجو أن تقفوا لتتصوروا الموقف : الجيش منهزم ، وهذا الفارس يهجم بسلاحه وجبروته كالثور الهائج ، والرجال تتنحى عن طريقه ، وهذه المرأة العربية المسلمة ، تعترض له ، وتثب فى وجهه تسد طريقه إلى محمد ، فيضربها فلا تزيح بل تضربه بسيفها ، فلا ينجيه إلا أنه بدرعين !

قالت : فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته مع ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان !

وهذه أم سليم تثبت فى هوازن فى الموقف المهول الذى انصدعت فيه أفئدة عشرة آلاف بطل ، فانهزموا إلا رسول الله وصحابته الأدنين ، فالتفت فرأى أم سليم ، مع زوجها أبى طلحة ، وهى حازمة وسطها ببردها ، وإنها لحامل ! وتمسك جلها وقد أدخلت يدها فى خزامه ، قال :

— أم سليم ؟

— قالت ، نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك ، كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل

قال : أو يكفى الله يا أم سليم ؟

ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة :

— ما هذا الخنجر معك ؟

— قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به

قال أبو طلحة ، مفتخراً بها ، مداعباً إياها :

— ألا تسمع يا رسول الله ، ما تقول أم سليم الرميصاء ! وهى حامل يا ناس ! وهى حامل !!

* * *

أما معاملته صلى الله عليه النساء ، فكانت أروع مثل يضربه السيد المهذب ، والبطل النبيل ، والأب الحانى ، والصديق الوفى ، ولا يتصور الوهم أرق منها معاملة ولا أعطف ، ولا أنبل

(١) من أعجب العجب أن يكون لكلمة اللبؤة عند عامة مصر ذلك المعنى القبيح ، وهى أم الأسود

ولا أشرف، ولا أحب أن ألخص لكم هـذا النص التاريخي، فاسمعوه بالحرف، من فم فتاة صـغيرة من آل غفار، متطوعة في الجيش، قالت:

أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار، فقلنا: يارسول الله؛ قد أردنا أن نسير معك إلى وجهك هذا (وكان متوجهاً إلى خيبر) فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بمـا استطعنا، فقال: على بركة الله

فخرجنا معه، وكنت جارية حدثة (أي صبية صغيرة) ولم يكن لي ما أركبه، فأردفني رسول الله وراءه على حقيبة رحله، فوالله لنزل رسول الله لصـلاة الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبـة رحله وإذا بهـا دم مني، وكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول ما بي ورأى الدم قال:

— مالك؟ لعلك نفست؟

— قلت: نعم

— قال: أصلحي من نفسك، ثم خـذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً فاغسلي به ما أصاب الحقيبة، ثم عودي لمركبك

* * *

وأمر رسول الله بعد هوازن بالقبض على مجرم يقال له بجاد من بني سعد بن بكر فساقوه وأهـله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث فعنفوا عليها في السياق، فقالت:

— تعلموا (أي اعلموا) أني أخت صاحبكم من الرضاع

فلم يصدقوها، فلما انتهوا إلى رسول الله قالت:

— يارسول الله. إني أختك من الرضاع

قال: ما علامة ذلك؟

— قالت: عضة، عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك

فعرف العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وقال:

— إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك

فاختارت الرجوع إلى قومها

* * *

ولعلكم تقولون: كيف كان هـذا الاختلاط؟ كان على التصون والحجاب الشرعي، وعلى غض البصر، وامتلاء القلوب بالخوف من الله، وبالغاية التي تشـغل عن شهوات النفس، ومع ذلك فإن الله علمهم درساً عظيماً في ضرر خلوة رجل بامرأة ليس معها ثالث، اتهمت فيـه أشرف امرأة في الناس، وكاد الناس يصدقون التهمة، حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات

هكذا كانت المرأة العربية المسلمة، جمعت أطراف الفضائل، وحازت خلال الخـير، وكانت للدين والدنيا، للعـلم وللأدب، للدار وللحياة، كان هديهـا القرآن، ودليلها الشرع، وغايتها رضا الله، والنجاة في الآخرة

فأين نساؤنا اليوم؟

علي الطنطاوي

ظهر حديثاً

المنجـــو
زراعتها وإنتاجهـا

تأليف
الدكتور محمد بهجت
كبير الاختصاصيين بمصلحة البساتين
والأستاذ محمود محسن اختصاصي أول بمصلحة البساتين

يقع في ٢٢٨ صفحة من الحجم الكبير
وثمنه ٧٥ قرشاً ويطلب من المؤلفين ومن المكاتب الشهـيرة

obeikandl.com